ورقة عمل في نقل تجربة التميز في الحصول

على جائزة أهالي المدينة للمعلم المتميز

الأداء التعليمي الفعال والنتائج التعليمية المبتكرة

إعداد وتقديم :د .منيرة العمري

بسم الله الرحمن الرحيم

.الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

أصحاب الفضيلة والسعادة، الزميلات والزملاء من المعلمين والمعلمات، الحضور الكريم، السلام عليكم .ورحمة الله وبركاته

قد يمتلك المعلم رؤية تربوية واضحة، ويضع أهدافًا دقيقة، ويبني خططًا متكاملة، لكن هذه الجهود تظل في إطار التوقع حتى تنتقل إلى الممارسة الفعلية داخل البيئة التعليمية .فالتخطيط يرسم الطريق، أما الأداء فهو الذي يكشف قدرة المعلم على السير فيه، والتعامل مع متغيراته، واتخاذ القرارات المناسبة في مواقفه .المختلفة

ومن هنا تأتي أهمية الحديث عن الأداء التعليمي الفعال بوصفه امتدادًا طبيعيًا للتخطيط، وحلقة أساسية تصل بين الفكرة التربوية والنتيجة التعليمية .وفي رحلتي المهنية، وما ارتبط بها من المشاركة والفوز .بجائزة أهالي المدينة المنورة للمعلم المتميز، أصبح التأمل في الممارسة التعليمية محورًا مهمًا في فهم التميز

فلم يعد السؤال الأكثر أهمية هو :كم نشاطًا نفذت؟ أو كم استراتيجية استخدمت؟ أو كم وسيلة تقنية أدخلت إلى الدرس؟ بل أصبح السؤال الأعمق :ما القيمة التعليمية التي أضافتها هذه الممارسة؟ وكيف استجابت لاحتياج المتعلمات؟ وما المؤشرات التي يمكن أن تساعدنا على معرفة مدى نجاحها؟

إن الأداء الفعال ليس مجموعة من الإجراءات المتتابعة التي يؤديها المعلم أثناء الحصة، وإنما عملية تفاعلية تتشكل فيها المعرفة والمهارات والقيم من خلال قرارات تعليمية مقصودة .وقد يكون الدرس منظمًا، والعرض جذابًا، والتفاعل ظاهرًا، ومع ذلك لا تتحقق جميع نواتج التعلم المستهدفة .وهذا يدعونا إلى التمييز .بين نجاح الموقف التعليمي من الناحية التنظيمية وفاعليته من الناحية التربوية

إن الفاعلية التعليمية تتجلى عندما تصبح الممارسة قادرة على مساعدة المتعلم في الانتقال من مستوى معرفي أو مهاري إلى مستوى أكثر تقدمًا، وعندما تتوافر للمعلم معلومات تساعده على معرفة ما تحقق وما لم يتحقق بعد.

وفي تدريس الدراسات الإسلامية، يتضح هذا المعنى بصورة خاصة؛ لأن التعلم لا يقتصر على اكتساب المعلومات، بل يمتد إلى فهم المفاهيم الشرعية وتنمية القدرة على التفكير والاستدلال وربط المعرفة بالقيم والسلوك .فعندما نتناول موضوعًا يرتبط بآداب التعامل أو المسؤولية الفردية أو القيم الاجتماعية، فإن الاقتصار على عرض المعلومات قد يحقق جانبًا من التعلم، لكنه لا يضمن قدرة الطالبة على توظيف هذه المعرفة في مواقف حياتية.

ولهذا يصبح تصميم الموقف التعليمي بصورة تتيح المناقشة والتحليل والمقارنة واتخاذ القرار أكثر اتصالًا بطبيعة الهدف .إن دور المعلم هنا يتجاوز تقديم المعرفة إلى تهيئة الظروف التي تسمح ببنائها وفهمها واستخدامها.

ومن التحولات المهمة في الممارسة التعليمية الانتقال من مركزية المعلم إلى توسيع مساحة مشاركة المتعلم . وهذا لا يعني تراجع دور المعلم، بل تطوره من مصدر وحيد للمعلومة إلى مصمم للخبرة التعليمية، وموجه للتفاعل، وملاحظ للتقدم، ومقدم للتغذية الراجعة.

فحين تتاح للطالبة فرصة تفسير مفهوم، أو مناقشة موقف، أو تحليل مشكلة، أو تقديم استنتاج، تصبح مشاركتها جزءًا من بناء التعلم، لا مجرد استجابة لسؤال يطرحه المعلم .لكن مشاركة المتعلمات في الأنشطة لا تعني تلقائيًا تحقق التعلم؛ فجودة هذه المشاركة ترتبط بطبيعة المهمة التي تنفذها الطالبة، ومستوى التفكير الذي تتطلبه، ومدى اتصالها بالهدف التعليمي.

قد تكون المهمة تفاعلية من حيث الشكل، لكنها محدودة من حيث العمق المعرفي .وقد تكون مهمة بسيطة في أدواتها، لكنها تتيح تفكيرًا أعمق وتكشف عن فهم أكثر دقة .ومن هنا فإن قيمة الاستراتيجية التعليمية لا تنفصل عن السياق الذي تستخدم فيه.

إن الاستراتيجيات الحديثة ليست غاية في ذاتها، وإنما وسائل لخدمة التعلم .وقد ساهم التطور التقني في توسيع الخيارات المتاحة أمام المعلم، فظهرت أدوات للتفاعل والمحاكاة والتقويم الفوري وإنتاج المحتوى وتخصيص الخبرات التعليمية .غير أن هذا الاتساع في الإمكانات يجعل مسؤولية الاختيار أكثر أهمية.

فالتقنية لا تصبح إضافة تعليمية لمجرد حضورها في الدرس، ولا يقاس الابتكار بعدد التطبيقات المستخدمة؛ وإنما تتحدد قيمتها من خلال ما تتيحه للمتعلمين من فرص للفهم والتطبيق والتفكير والتغذية الراجعة .وقد يكون توظيف المحاكاة مناسبًا عندما يصعب تقديم الخبرة بصورة مباشرة، بينما تكون المناقشة الموجهة أكثر ملاءمة عندما يستهدف الدرس تحليل موقف قيمي أو بناء استنتاج.

ومن العناصر التي تمنح الأداء التعليمي عمقه الحقيقي قدرة المعلم على التعامل مع الفروق الفردية؛ فالمتعلمون لا يبدأون جميعًا من المستوى نفسه، ولا يتقدمون بالسرعة نفسها، ولا يستجيبون بالقدر ذاته لطريقة واحدة من طرق التعليم .ولهذا فإن الأداء الفعال يقتضي تنويع الفرص التعليمية دون الإخلال بوحدة الأهداف الأساسية.

وقد يتطلب الأمر تقديم دعم إضافي لبعض المتعلمات، أو تنويع مستويات المهام، أو إتاحة وسائل متعددة للتعبير عن الفهم، أو تعديل طريقة تقديم المحتوى بناءً على ما تكشفه نتائج التقويم .إن الإنصاف التعليمي لا يعني بالضرورة تقديم الخبرة نفسها للجميع بالطريقة ذاتها، وإنما إتاحة فرص تعلم مناسبة تساعد كل متعلمة على التقدم نحو الأهداف المستهدفة.

ويرتبط بذلك جانب بالغ الأهمية، وهو التقويم بوصفه جزءًا من التعلم وليس مرحلة منفصلة تأتي بعد انتهائه .فالتقويم الفعال لا يقتصر على إصدار حكم على مستوى الطالبة، بل يساعد المعلم على فهم طبيعة التعلم الذي تحقق، وتحديد جوانب القوة والضعف، واتخاذ القرارات المناسبة.

وقد تكشف إجابة قصيرة أو ملاحظة أثناء تنفيذ المهمة عن تصور غير دقيق يحتاج إلى معالجة فورية .كما قد تُظهر نتائج اختبار تشخيصي أن الصعوبة مشتركة بين مجموعة من الطالبات، مما يستدعي مراجعة طريقة التدريس أو إعادة بناء الخبرة التعليمية .وفي الحالتين، تصبح البيانات التعليمية أداة لتطوير الممارسة.

إن ما يمنح التقويم قيمته ليس كثرة الأدوات المستخدمة، بل مدى ارتباط المعلومات التي يوفرها بقرارات التحسين .فعندما تكشف النتائج عن عدم تحقق مهارة معينة، فإن الأداء الفعال لا يكتفي بتسجيل هذا التعثر، بل يبحث في أسبابه ويختار المعالجة الملائمة ويتابع مدى التحسن .فقد تكون الصعوبة ناتجة عن عدم وضوح المفهوم، أو قصور في المعرفة السابقة، أو عدم مناسبة النشاط، أو حاجة الطالبة إلى مزيد من التدريب.

وهنا تبرز العلاقة الوثيقة بين الأداء المهني والتأمل؛ فالمعلم لا يراجع نتائج المتعلم فقط، بل يراجع كذلك القرارات التعليمية التي أسهمت في تشكيل تلك النتائج .ومن هذه النقطة تحديدًا يبدأ الحديث عن النتائج التعليمية المبتكرة.

فالنتائج ليست مجرد المرحلة الأخيرة من العمل التعليمي، وإنما المرآة التي تساعدنا على قراءة جودة ما سبقها من تخطيط وتنفيذ .وقد كان من أهم المعاني التي تدعو إليها تجربة التميز المهني أن نعيد النظر في طريقة عرض إنجازاتنا.

ففي الممارسة اليومية قد نميل إلى وصف ما قمنا به :نفذنا برنامجًا، أو طبقنا استراتيجية، أو نظمنا مبادرة، أو استخدمنا تقنية جديدة .وهذه أوصاف ضرورية لتوثيق العمل، لكنها لا تكفي للإجابة عن سؤال الأثر .إن الحديث عن النتائج يبدأ عندما ننتقل من وصف النشاط إلى بيان ما تغير بعد تنفيذه، وما الأدلة .المتاحة على هذا التغير

فعندما يستهدف المعلم تنمية مهارة الفهم القرائي أو تحليل النصوص أو تطبيق مفهوم فقهي، فإن توثيق خطوات الدرس يوضح طبيعة التدخل التعليمي، لكنه لا يكشف وحده عن مستوى التحسن .ولكي تصبح النتيجة أكثر وضوحًا، ينبغي تحديد مستوى البداية، ثم قياس مستوى الأداء بعد التطبيق بأداة مناسبة، .وتحليل الفروق بين المستويين

وهنا لا تقتصر أهمية القياس على الأرقام، بل تشمل تفسيرها في سياقها التعليمي .فقد تشير المقارنة بين أداء المتعلمين قبل تطبيق ممارسة معينة وبعدها إلى تحسن ملحوظ، لكن ذلك لا يعني بالضرورة أن جميع .جوانب التحسن نتجت عن هذه الممارسة وحدها؛ إذ قد تتداخل عوامل أخرى تؤثر في النتائج

ومن الأمانة العلمية أن نفرق بين التحسن الذي نرصده، والأثر السببي الذي نحتاج إلى تصميم بحثي أكثر .ضبطًا لإثباته .إن هذه الدقة في تفسير النتائج لا تقلل من قيمة الإنجاز، بل تمنحه مصداقية أكبر

ومن المهم كذلك ألا نحصر النتائج التعليمية في التحصيل المعرفي وحده؛ فالعملية التعليمية تستهدف مجموعة واسعة من النواتج، منها المهارات الفكرية والعملية والاتجاهات والقيم والقدرة على التعاون وتحمل المسؤولية والاستقلالية في التعلم .وقد تتطلب هذه الجوانب أدوات متنوعة للقياس، مثل بطاقات الملاحظة .وتحليل أعمال المتعلمات ومقاييس الاتجاهات والتقويم الأدائي إلى جانب الاختبارات المعرفية

لكن اختيار الأداة ينبغي أن يكون متسقًا مع طبيعة النتيجة المراد قياسها .فلا يصح الحكم على نمو مهارة معقدة من خلال عدد المشاركات وحده، ولا يكفي قياس الرضا لإثبات تحقق تعلم معرفي، كما لا يدل عدد المستفيدين من مبادرة بالضرورة على عمق أثرها التربوي.

إن المؤشر الجيد هو الذي يقيس الظاهرة التي وُضع من أجلها، ويقدم معلومات ذات معنى يمكن الاستفادة منها في اتخاذ القرار .ومن هنا تبرز أهمية الانتقال من ثقافة الإنجاز العددي إلى ثقافة الإنجاز النوعي المدعوم بالأدلة .فالعدد قد يخبرنا بحجم التنفيذ، لكنه لا يخبرنا دائمًا بجودة النتيجة.

ويمكن أن تحقق مبادرة مشاركة واسعة دون أن يكون تأثيرها التعليمي بالمستوى المأمول، كما يمكن أن تحقق ممارسة محدودة النطاق تحسنًا عميقًا يستحق الدراسة والتطوير والتوسع .ولهذا فإن قراءة النتائج تتطلب الجمع بين المؤشرات الكمية والنوعية متى كان ذلك مناسبًا.

ومن الجوانب التي ترتبط بالنتائج التعليمية المبتكرة قدرة المعلم على الاستفادة من النتائج في اتخاذ قرارات جديدة؛ فالنتيجة ليست نهاية المسار، وإنما بداية دورة أخرى من التفكير والتطوير .وإذا كشفت البيانات عن تحسن في جانب معين، فمن المهم فهم العوامل التي قد تكون أسهمت فيه، والنظر في إمكان المحافظة عليه . وإذا كشفت عن استمرار التعثر لدى بعض المتعلمين، فإن ذلك يمثل فرصة لإعادة بناء التدخل أو تنويع أساليب الدعم.

إن الابتكار التعليمي لا يعني الجدة المطلقة دائمًا، وإنما قد يتمثل في تطوير حل مناسب لمشكلة قائمة، أو إعادة تصميم ممارسة مألوفة بطريقة أكثر فاعلية، أو توظيف أداة متاحة لتحقيق قيمة تعليمية جديدة . فالمعيار الأهم ليس مدى غرابة الفكرة أو حداثة التقنية، بل مدى مناسبتها للمشكلة ووضوح ما تضيفه وإمكان متابعة نتائجها.

ويكتسب هذا المعنى أهمية خاصة عندما نتحدث عن استدامة الأثر التعليمي .فمن الممكن أن تحقق ممارسة معينة نتائج مشجعة خلال فترة قصيرة، لكن استدامتها تتطلب النظر في قابليتها للتكرار، واستمرار ملاءمتها، وحاجتها إلى الموارد، وإمكان استفادة الآخرين منها.

كما أن نقل الخبرة المهنية يمثل بُعدًا مهمًا من أبعاد الاستدامة .فعندما يشارك المعلم تجربته مع زملائه، ويعرض سياقها وإجراءاتها ونتائجها وحدودها، فإنه يفتح المجال أمام مراجعتها والاستفادة منها وتطويرها في بيئات تعليمية أخرى .وهنا تتجاوز قيمة تجربة التميز حدود صاحبها، وتصبح جزءًا من المعرفة المهنية المتبادلة داخل المجتمع التعليمي.

ولذلك فإن الحديث عن جائزة التميز لا ينحصر في لحظة التتويج، وإنما يمتد إلى ما يمكن أن تضيفه التجربة إلى الممارسة المهنية بعد الفوز .لقد مثل الفوز بجائزة أهالي المدينة المنورة للمعلم المتميز محطة اعتزاز في مسيرتي المهنية، لكنه يدعوني كذلك إلى النظر إلى التميز بوصفه مسؤولية مستمرة.

فالتكريم يقدّر ما تحقق، أما المحافظة على قيمة الإنجاز فتتطلب استمرار العمل والتعلم والتطوير .وقد لا تكون أهم ثمار المشاركة في الجوائز التعليمية هي ما يحصل عليه المعلم من تقدير فحسب، بل ما تتيحه له من فرص للتأمل في أدائه واكتشاف جوانب قوته وتحديد أولوياته المستقبلية ومشاركة خبرته مع الآخرين.

ومن خلال هذه القراءة، تتضح العلاقة العميقة بين الأداء التعليمي الفعال والنتائج التعليمية المبتكرة . فالأداء الجيد يهيئ فرص التعلم، والتقويم يكشف ما تحقق منها، وتحليل النتائج يساعد على فهم جوانب النجاح والتعثر، والتطوير المستمر يعيد توجيه الممارسة نحو مستوى أفضل.

إنها علاقة مترابطة لا يمكن فصل عناصرها دون أن نفقد جانبًا من معناها .فالممارسة التي لا تُراجع نتائجها قد تستمر رغم محدودية أثرها، والنتائج التي لا نفهم سياقها قد تقود إلى استنتاجات غير دقيقة، أما .التطوير الذي لا يستند إلى معلومات موثوقة فقد يتحول إلى سلسلة من التغييرات التي لا نعرف مدى فاعليتها

إن المعلم المتميز ليس من يقدم دائمًا أكثر الممارسات تعقيدًا، وإنما من يمتلك القدرة على اختيار الممارسة المناسبة وتنفيذها بإتقان ومراجعة نتائجها بشفافية وتطويرها باستمرار .كما أن التميز لا يتطلب أن تكون جميع النتائج مثالية؛ فالموقف الذي لا يحقق أهدافه كاملة قد يقدم معرفة مهنية مهمة إذا أحسن المعلم .تحليله والاستفادة منه

ولعل من أجمل ما تمنحه رحلة التميز للمعلم أنها تجعله أكثر إدراكًا لقيمة العمل الذي يؤديه، وأكثر انتباهًا للتفاصيل التي قد تمر في الممارسة اليومية دون تأمل كافٍ .فالتحسن الذي تحققه طالبة بعد تعثر، والقدرة التي تكتسبها على فهم مفهوم صعب، والثقة التي تنمو لديها عند المشاركة، جميعها صور تستحق .اهتمام المعلم وإن اختلفت أدوات قياسها وطريقة توثيقها

حين ننظر إلى التميز التعليمي من هذه الزاوية، نجد أنه لا يقوم على ثلاثة عناصر منفصلة، بل على مسار مهني متصل :تخطيط يستند إلى الوعي بالاحتياج، وأداء يستند إلى جودة التنفيذ، ونتائج تستند إلى قياس .منضبط وتحليل مسؤول

وقد يكون أعظم ما نحققه في حياتنا المهنية ليس ما نضعه في ملفات إنجازنا، وإنما ما يبقى في خبرات .المتعلمين، وما يسهم في تطوير قدرتهم على الفهم والتفكير والعمل

وأختم ورقتي برسالة أؤمن بأهميتها :لا يبدأ التميز يوم يُعلن الفوز، ولا ينتهي يوم يُرفع اسم الفائز؛ بل يبدأ حين تصبح جودة التعلم مسؤولية شخصية ومهنية، ويستمر حين تتحول الخبرة إلى معرفة، والمعرفة إلى تطوير، والتطوير إلى أثر نافع ومستدام.

فالتخطيط يمنح عملنا الاتجاه، والأداء يمنحه الحياة، والنتائج تمنحه الدليل، أما الاستدامة فتمثل القيمة التي تجعل أثره ممتدًا إلى ما بعد الموقف التعليمي.

الخلاصة العلمية

تخلص الورقة إلى أن فاعلية الأداء ترتبط باتساق الممارسة مع الاحتياج، والتقويم المستمر، والاستجابة المنظمة للتعثر .كما أن النتائج التعليمية المبتكرة تتطلب مؤشرات وأدلة قابلة للمراجعة، وأن الاستدامة ترتبط بتحويل النتائج إلى قرارات تطويرية ونقل الخبرات.